هذا المنظور ليصل الى لحظة تندفع فيها هذه العلاقة نحو الاندماج الكامل . هنا يصبح التمييز الفعلي بين العنصرين اللذين يشكلان طرفي العلاقة مستحيلا . وتتحول الارض الى علامة .

الفرح ... عندما يخون : عندما نبدأ بقراءة تلك المقاطع المرقمة التي وضعت تحت هذا العنوان في الكتاب ، نمسك بأنفسنا حتى لا ننفجر . الحقد الذي لم نتعلمه جيدا الا على الاجساد المكوية . الا داخل الحروب . يخرج هنا من جديد ، ليحمل وضعا للحظة الهزيمة داخل انشداد كامل في الموت . تمشي الهزيمة على الاجساد ببطء شديد . تتحرك ببطء شديد تمسك بالخناق وتعلمنا بأن الدموع حقيرة . لذلك تتناوب المقدمات والنتائج على صياغة حلم مرعب . يأتي الحوار المنطقي ، ليعلم استحالة الحوار . التحضير للحرب يجري بطيئا وبهدوء . الحالة تصبح اقترابا من الانفجار . « وتسألك امك ، ان تعتني بسلامتك . والمصير — كل المصير يأخذ شكل طلقة » . يرتفع الصوت الفلسطيني ليجيب على صوت النداء الذي يرتفع « لو وقفت على الاهرام وقذفت حجرا على فلسطين لوصل عصفورا ». يأتي الجواب الجماعي هذه المرة : « مزقونا فتكاثرنا لاجئين . شيء في الداخل وشيء في الخارج » . وتأتي اللحظة . يتحرر النص هنا من التصاقه الشديد بحالة العرب في اسرائيل قبل الحرب ، ليصبح تكثيفا للقهر القومي الذي نعانيه منذ تتالت الهزائم . منذ اكتشف الاوروبي الرأسمالي ان بامكانه امتطاء صهوة تاريخنا بعنف دموي . يتكثف التاريخ الحديث كله ، حتى تصبح فلسطين نقطة تقاطعه التي ندخلها . واجسادنا ممتلئة بالجراح .

« هكذا ابتدأ كل شيء
وهكذا انتهى كل شيء » .

عندما التقى « حامد » في رواية « ما تبقى لكم » بالاسرائيلي لم يحاوره . اكتشف ان اللغة الوحيدة الممكنة هي لغة القتال حتى النهاية . لكن الاطار الذي فرض على هذا « الفرح الذي يخون » ، سمح بحوار ، من نوع جديد . حوار الجلاد والضحية قبل تنفيذ الحكم . لذلك نحس ونحن نقرأ هذا الفصل بحاجة الى تمزيق اي شيء . فحوار الجلاد والضحية ، يأخذ حجم الموت ، الهادىء البطيء . ثم تأتي الهزيمة . يولد في ظلامها ضوء المقاومة كامكان . نشعر بالانفجار يدخل عميقا تحت جلودنا . وعندما نحاول الصراخ يكون محمود درويش قد سبقنا اليه . « ادخل الفرح .. وانفجر !.. » يأخذ هذا المسار نفس الحركة السابقة ، لكنه حين يلتقط الزوايا الموضوعية ويقوم بوضعها داخل منظار الانتظار الفاجع الذي نعلم نتائجه سلفا ، فانه يحول معايشة النص من ترقب للنتائج الى تفتيق للجراح نقطة نقطة . ونحن نعلم الى اين سيصل النص بنا . فالانتظار الذي نعيشه انتظار مخادع، انه معايشة للحظات تتتالى. حتى نصل الى نتيجة هي الوحيدة الممكنة داخل الحالة . « ادخل الفرح .. وانفجر !.. »

صلاة من اجل المدن : هذه المرة لا يخون الفرح . غير انه لا يأتي مجانيا . يأتي الفرح على ابواب المدن المصلوبة على النار ، ينكسر النثر. التعبير صار مستحيلا عن حالة تتداخل بالقدرة من دون كلام . فيأتي الشعر ، ليقوم بدور القذيفة التي تصير مجرد نقطة بين ايدينا قبل ان تتحول الى حرائق تشتعل على مساحات شاسعة. الشعر هنا ليس لغة للمخاطبة . انه لغة الداخل . القدس تتحول الى عالم غريب : « دخلتها مختبئا بالشجاعة ، خائفا من الشجاعة » . وتتداخل العلاقة مع مدينة واحدة لتمتد في توجع يأخذ شكل الحقائق المعطاة . لكننا نكتشف ان هذه الحقائق ليست سوى رصفا لحالات الاوجاع التي تنتاب المدن . ثم ينقض النص دفعة واحدة على التقسيم البطيء للصور والظلال ، ويخرج الهجوم من بين اصابع الشاعر « تهجم على باعة الصحف وبقايا الاثار وباعة الفلافل والخضار الطازجة والمعلبات المستوردة ، وقد تعلموا لغة الغزاة في ليلة واحدة. تهجم عليهم في نشوة انتحار . تأخذ اشياءهم ، وتصيح تصيح بأعلى صمت : من يشتري صدر تاريخي وظهر تاريخي وعورة تاريخي بلحظة انتصار واحدة ؟! ثم تبتسم للغزاة » . الدخول الى القدس ، يصبح دخولا الى التاريخ ، ليس من باب الاثار او من باب الصلاة . بل من باب الفعل التاريخي الذي ينتظر . وحين يتساءل درويش عن هذا البدء ، يكتشف « في البدء لم يكن الفعل ، ولم تكن الكلمة، في البدء كانت الهزيمة». هكذا تخرج القدس من « المساء البطيء والبرتقالي » ، لنكتشف اننا لم نكن داخل لحظة الصلاة من اجل القدس ، بل كانت القدس ، داخل